ثقافة وأدب

حول القضية المعلقة بين نزار قباني و« مواقف »

بقلم : فاضل عباس هادي

السعادة هي ان تعطي لا
ان تأخذ
والحرية ان تقوم بما
عليك من واجبات .

كثيرة هي الظواهر الادبية التي تستلفت النظر فـي هـذه المدينة الكوسموبوليتانية الليبرالية ، بيروت . وكثيرة هي المعارك القلمية التي تثـار بـين الحـين والاخر . وآخرها ما قرانـا عن قضية طبع كتـاب عن « الشعر والجنس والثورة » الذي طبعه نزار قباني بدون موافقة كل من ادونيس ومنير العكش ، اللذين رفضا سابقـا اقتراحا تقدم به اليهما لطبع الكتاب الذي كان في الاصل مقابلة طويلة اجراها معه منير العكش ونشرت تحت عنوان اخر في مجلة « مواقف » .

كان المحرر الادبي لجريدة « صدى لبنان » اول من رفع الغطاء عن المرجل ممـا ادى الى اصداء واسعة في الصحافة الادبية .

وللقضية المثارة جانبان : الجانب الادبي (ولا نقول الاخلاقي) وهو الجانب الاهم . والجانب الحقوقي . وكان علـى نزار قباني ان ياخذهما بنظر الاعتبار قبل الاقـدام على طبع الكتاب الذي حمل اسمه على الغـلاف واشار الى منير العكش ، مجري المقابلة في احدى الصفحات الداخلية للكتاب .

كان نزار قباني ، كما ذكرنـا ، قد فاتح كلا من ادونيس والعكش بنيته بطبع المقـابلة بكتاب . الا انهما لـم يوافقا لاسباب عديدة منهـا ان المقابلة التي استغرقت اكثر مـن شهرين ليست الا حلقة واحدة مـن سلسلة مقابلات يعكف منير على اعدادها لطبعها بكتاب ذي طابع ميداني يشتمل ، بالاضـافة الـى المقابلات ، على دراسة طموحه لحركة الشعر العربي المعاصر من خلال رصد اهم معـالمه المميزة ، فكان طبع نـزار للمقابلة بكتـاب مستقل احباطا للمشروع الـذي يعده منـير ـ الذي ادار الحوار بذكاء واوقع نـزار في ارتباكات فكـرية عديدة كشفت عن هشاشته الفكرية ـ .

ولو ان نزار قباني اصدر المقـابلة بكتاب بعـد صدور دراسة منير ومسحه الميدانـي لحركة الشعر الطليعي لهـان الامر بالنسبة للثلاثة اصحاب العلاقة .

ثم ان طبع المقابلة بكتاب بدون الاشـارة الى المصدر وهو في هذه الحالة مجلـة « مواقف » اثـار امتعاض هيئة تحرير المجلة ويبدو أن نـزار تعمد عدم الاشـارة الـى المصدر مما ترك المجال لعدة تبريرات مـن جانب واحد . والراي السائد أن نـزار لم يشر الى المجلة التي نشرت فيهـا المقـابلة لاول مرة لانه يعرف بـان « مواقف » مجلة « مرفوضة » من بعض الانظمة العربية . ولما كان نزار يريد لكتابه « الجديد » الرواج في جميع الاسـواق العربية فقد اسقط اسـم « مواقف » وقد افلح في هـذا لحد الان .

علما بـان مجري المقابلة كان قـد اجرى عدة مقابلات مع عدة شعراء بارزين كيوسف الخال وادونيس وبدوي الجبل ولـم يخطر لهم ابدا طبعها بكتاب اذ كان منير قـد اعلمهم بانـه يجري معهم مقالات لتكون جزءا من مسحه الشامل لحركة الشعر العربـي في وضعهـا الراهن وافاقها المستقبلية .

الا ان نزار قباني بطبعه المقـابلة بكتـاب ضرب عرض الحائط مبدئين جوهريين لا بـد من اخذهما بنظر الاعتبار قبل الاقـدام على خطوة كتلك التي خطاها .

فمن الناحية الاخلاقية كان على نـزار ان يستحصل موافقة الطرفين المعنيين بالقضية اي مجلة « مواقف » ومجري المقابلة وقـد سبق وان اشرنـا الى انه طبع المقابلة بكتاب بدون موافقتهمـا ورغم التـاكيدات الخطية والشفهية من جانب منير بـان المقابلة جزء من كل وليست شيئا قائما بذاته . هنـالك الكثير من الامثلة العربية والعـالمية التـي تحفظ لمجري المقابلة حقوقه وحقه فـي طبع المقابلات التي يجريها في كتاب يحمل اسمه واخرها كتاب الناقد غالي شكري « مذكرات ثقافة تحتضر » الـذي حمل اسمه والـذي يتضمن عدة مقابلات كان قـد اجراها في وقت سـابق مع كل مـن نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويوسف ادريس وعززها بدراسة عن المشهد الادبي المعاصر .

نزار قباني ، من ناحيته ، يرد قائلا بـان « مواقف » لـم تدفع له عن المقابلة وهذا في رايي منطق مردود . اذ ان المجلة ان طلبت من احد محرريها اجراء مقابلة مع شخصية فكرية او فنية ـ رغم ان الاثنين لا ينفصلان ولا يتميزان ، الفكر والفن ـ لا تدفع لمن اجريت معه المقابلة وانما تدفع لمراسلها الذي اجرى المقابلة اذ انه ، في المطـاف الاخير ، صاحب المبادرة .

كما ان من المعروف للجميع ان « مواقف » لا تدفع حتى للذين تستكتبهم ، فكيف يتوقع نـزار ان تدفع لـه المجلة وهي التي لـم تستكتبه وانمـا اجـرت معه مقـابلة فقط . والفرق كبير بين استكتاب كاتب واجراء مقابلة معه .

الجانب الحقوقي للقضية معقد الى حد ما رغم أن طرفي الجـانب الثانـي ادونيس ـ والعكش لا يعيرانه اي اهتمام اذ ان المسالـة ليست مسالة تعويض مالـي بقـدر ما هي التزام ادبي يتعين على الجميع ان ياخـذوه بنظر الاعتبار في حديث خاص اجريته مع منير قال ان هنالك فرقـا شاسعا بين قـراء « مواقف » ، المجلة الجريئة وبين قـراء نزار قباني ومعظمهم من أشباه المثقفين او على حد تعبير منير « زعران العالم العربي » والذين يشكلون ظاهرة مرضية لها اسبابها المرتبطة بالحرمان الجنسي ونتائجها الواضحة فـي استمـرار فترة المراهقة الـى ما بعـد الثلاثين .

نزار ، من ناحية اخرى ، يعتقد بـأن له جمهوره فما هو ، في تصوره ، الجمهور ؟ وهل يتحدد الجمهور بالكم ام بالنوع ؟ واذا كان يعتقد بـان ادونيس للشاعر « دهاليز » لا تفضي الى شيء ومعميات ليس لهـا مـن مفسر ، فلانه ، اي نـزار ، لا يملك البعد الفكري الذي يملكه ادونيس ولانـه ارتضى جمهورا سطحيا يدغدغ احاسيسه الشبقية مـن خلال التغني بوصف جسد الانثى بدون التعمق في رمز المـراة الكوني وما توحيه المـراة من ارتباط عضوي بعنـاصر الوجود الاخرى التي لا نجـد في اشعار نزار اي ملامح لهـا . ثـم ان نـزار كان حتى قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ حبيس موضوع واحد يدور عليه ويدور كحجر الرحى فكيف تحول بعـد حرب الايام الستة الى مبشر عصري يستثير الهمم « ويستجوب المتهمين » وبنفس اسلوبه المترف الانيق العبارة .

لقد كان الاجدر بنزار ان يتجنب خوض معـركة سيـوف خشبية وان يتوصـل مع « مواقف » الـى صيغـة تحفظ للجميـع حقوقهـم .

ثم ان طبع مقابلة بكتـاب بدون موافقة مجري المقابلة .

والمجلة التي نشرت فيها ظاهرة خطيرة لا بد من معالجتها . كما أن من الضـروري بالنسبة لمن يعتبرون الفكر مشغلتهم الحياتية الاولى والاخيرة ان يترفعوا عن الانسياق وراء « السوق » ويكونـوا دائما على استعـداد ليعيشـوا الكفـاف مع الحريـة والحقيقة ويتجنبوا الانجرار وراء القارىء السطحي .

ان السعادة كما وصفها اندره جيد هي ان تعطي لا ان تاخـذ والحرية ان تقوم بما عليك من واجبات وليست ان تفعل ما يحلو لك .

مواقف

صدر العدد الاخير من مجله « مواقف » ، وهو عدد مزدوج يحمل رقمي ١٧ ـ ١٨ كآخر عدد يصدر عن عام ١٩٧١ ، وقد نوه ادونيس في كلمة الفتاحية الى « ان مواقف » مضطرة بحكم طاقتها الراهنة ان تغير ايقاع صدورها ، وان تغير ، على الارجح ، صيغتها » .

واضاف : « عمليا ، ستكون الاعداد التي تصدر في السنة اقل مما اعتاد عليه الاصدقاء واذا كان هذا الوضع نتيجة طبيعية من حيث انها رد فعل تقوم به السياسة ـ الانظمة فانه : بالمقابل ، امتحان لاصدقاء « مواقف »

ونشرت فـي المجلة ايضا استقالة بلند الحيدري من اسرة التحرير « لان ظروف عمله لـم تسمح له بـأن يجد نفسه موقعا فـي مواقف ولم تتح له ان يعمل فيها كما يحب » وردت هيئة التحرير « مقدرة الظروف التي تشير اليها الصديق الكبير وقدرت له حقه وحريته في اتخاذ الموقف الذي يراه ازاءها »

واشار ادونيس في ثالث مقال ينشره بعنوان « تأسيس كتابة جديدة » الى ان هذا العدد من « مواقف » يشكل ، بالقصـائد التـي يقدمها ، نواة لرحلة متميزة في التجربـة الشعرية العربية الجديدة » .

وشار الى امر اخر « يتصل باسمـاء الشبـاب الذين ينشرون للمـرة الاولـى : شوقي بزيع ، شربل داغر ، ثميرة الزين ، حمزة عبود ، محمد العبـد اللـه ، وجميعهم طلاب في كلية التربية بالجـامعة اللبنانية ، فهذه اسماء قد تكون ، بالاضافة الى اسماء اخرى جامعية لم تنشر بعـد ، والى الشعراء اللبنانيين الممثلين في هـذا العدد ، ظاهرة فريدة في لبـان مزدوجـة الدلالة : امكان تحول الجامعة اللبنانيةالى مركز اول لحركة الشعر الجديد في لبنان ، وكون هذه الحركة تتجه بالشعر اللبناني في منحى يختلف كليا من التقليد الشعري في لبنان » .

قصـائد العدد ، بالاضافة الـى الخمسة الذين ذكروا ، هي لكمال ابو ديب ، محمد طالب محمد ، وليد جمعه حميد ، سليم بركات ، ياسين طه حافظ ، فريد البرغوثي ، راغد حسين ، سنيه صالح ، سمير الصايغ ، خلدون الصبحي ، عبد الرحمن طهمازي ، فاضل العزاوي ، رياض فاخوري ، عبد الحميد القائد ، الياس لحود ، يعقوب المحرقي ، محمد عفيفي مطر ، بشار ملحم ، محمد عبد الحي ، جلال حسين وردة ، نوري كريم (وتنشر المجلة مختارات مـن كتاب « المواقف » لمحمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري الذي عاش في النصف الاول مـن القرن العاشر ، ومات حوالي سنة ١٩٦٥ ميلادية ، وبقي منذ ذلك التاريخ مجهولا حتى سنة ١٩٦٥ حيث اهتدى ادونيس الى كتاب طبعه لنتاج النفري المستشرق اربري سنة ١٩٣٤) وتكتب خالدة سعيد عن : محمـد الماغوط وانسي الحاج وادونيس ، ومحمود درويش ، ووليد سيف وسنية صـالح بمناسبة صدور دواوين جديدة لهم (او ادمة حبها) (ويتحدث منير العكش في حوار مع بدوي الجبل ، ثم ثلاث مداخل الى الشعر الفرنسي الحديث (هنري فريدسمب) والشعر السوفياتي الحديث (فائق الرحي) والشعر الاميركي الحديث (اوبك سيلين) .

وفي دفتر الافكار تكتب منى السعودي عن منحوتات بصبوص ، ومنير العكش عن سعيد عقل و « اجراس الياسمين » و « مقدمة للشعر العربي » لادونيس ، وسنية صالح عن « المسرح والمرايا » ، ثم نص لضياء العزاوي وحوارا معه اجرته مي مظفر .

برغمان .. والسوبرمان الاسرائيلي

كتب نبيل حاياتي رسالة من رومـا لمجلة « الاداب » نشرت في العدد الاخير تطرق فيهـا الى عرض فيلم برغمـان « الرابط » في روما (اعيد عرضه في بيروت منذ اكثر من اسبوع) .

بعد اخذ ورد بين الرقابة الايطاليـة وممثلي المخرج السويدي الكبير انغمار برغمان ظهر على شاشات ايطاليـا اخر فيلم مـن افـلام المخرج المشهور : « اللمسة » (١) . يصور الفيلم علاقـة تتوطـد مراهـا بـين امراة سويدية في الخامسة والثلاثين من عمرهـا وزوجـة جراح اسمه اندريه ، وبين شاب عالم آثار ، اسمه دافيد وهو يهودي مواصل الماني هاجر الى الولايات المتحدةالاميركية وحصل علىشهادته الجامعية مناسرائيل. يروي الفيلم قصة اللقـاء بين الاثنين والصراع الذي ينشأ في نفس كارين : فقد ارادت الحفاظ على كل من زوجها السويدي وعشيقها « المتوسطي » ، اي على «الحب» من ناحية والعائلةوالوضع الاجتماعي من ناحيـة اخرى . غـير ان استحالة هذا اجبرتها على اختيارالعائلة والوضع الاجتماعي واخل فيما يلي عبارة وردت في نقـد البرتو مورافيا للفيلـم لانتقل بعدها الى استخلاص واي اعتبره اساسيا في الموضوع . يقول مورافيا :

« ان هذا الفيلم ليس كما يمكنـه ان يظهر لاول وهلة ، اي عبارة عن قصـة تدور عن اي بوفاري حديثة وسويديةومن ما ينجم عن هـذا من دراسة لحيـاة الناحية ، بل هو تمثيل والى حـد مـا امثولة ، عن شخصية المراة في لحظة من لحظات نشاطها الهائج ، اي خلال لحظة العاطفة والحب « ... » اما دافيد فهو الذكر ذو الطاقة الجنسية العنيفة التي لا يمكن تحملها تقريبا .. » ، « واندريه هو الرجل الحنون ، الذي تراه زوجته ربما بديلا عن اب كانت تحبه بصـورة واعية » ، « وكارين هي فـي النهـاية المراة الشرهة والمعطاء التي تريد ان توزع نفسها بين رجلين » . ويمضي مورافيا قائلا ان تردد كارين كان بين العطـش لا يحمل سمة خلقية او صلة معنوية بل هو ناجم عن شهوة الحواس ، انه حاجة جسدية .

ان معنى هذه العبارات يبدو جليـا بالنسبة ـ لنا ، نحن العرب ـ اذ حاولنا ان نعري نية المخرج السويدي. فاختيار دافيد يهوديا المانيا (هو ـ في نهـاية الامر ـ مواطن اسرائيلي ، يحمل طـاقة المتوسط الجنسية) ، ليس بكل تاكيـد اختيارا تم من محض صدفة . غير اننا قد تحمل الامور اكثر ما تحتمل وتكوننقد انزلقنا وراء تهور العواطف ان قلنـا ان هذا الاختيار من قبل برغمان قد تم بفعل رؤية سياسية تتعلق مبـاشرة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، غير انه ـ مهمـا يكن من امر ـ هنالك خطورة جلية في هذا الاختيار ، الخطورة تكمن في ان برغمان، وهو فنان غربي مرهف الحس ، «راى» الطاقة الحيوية المتوسطية فـي رجـل أسرائيلي ، واذا اردنا ان نذهب الى ما هو ابعد من هذا نقول انه اراد ان يمثل بصورة غير واعية بالطبع علاقة غربيـة العائلة (كارين) مع ماضيها ـ حاضرها (الزوج الحنون البديل من الاب) ومـع رؤى هذا الغرب لمثال يجسد طمـاحه في الحياة (دافيد) في هذه اللحظـة الحرجة من مراحل سيره الحضارية .

ولا يمكننا ان نعزو هذا بالطبع الـى تأثر الفنان السويدي بالاخبار اليومية التي تتناقلها الاذاعات والصحفوالمجلات بالحرب في شرقنا العربي ، لا بد انـه ناجم عن السموم الدعائية التي تنشرهـا بدقة واحكام الاوسـاط الصهيونية ، غير ان مرحلة التشاؤم العربي وانحطـاط الهمم قد تفرضت . والامل الابلة قد يعتقد الامر وبحمله من جديد الى التشاؤم . »

لو ابكي بين يديك

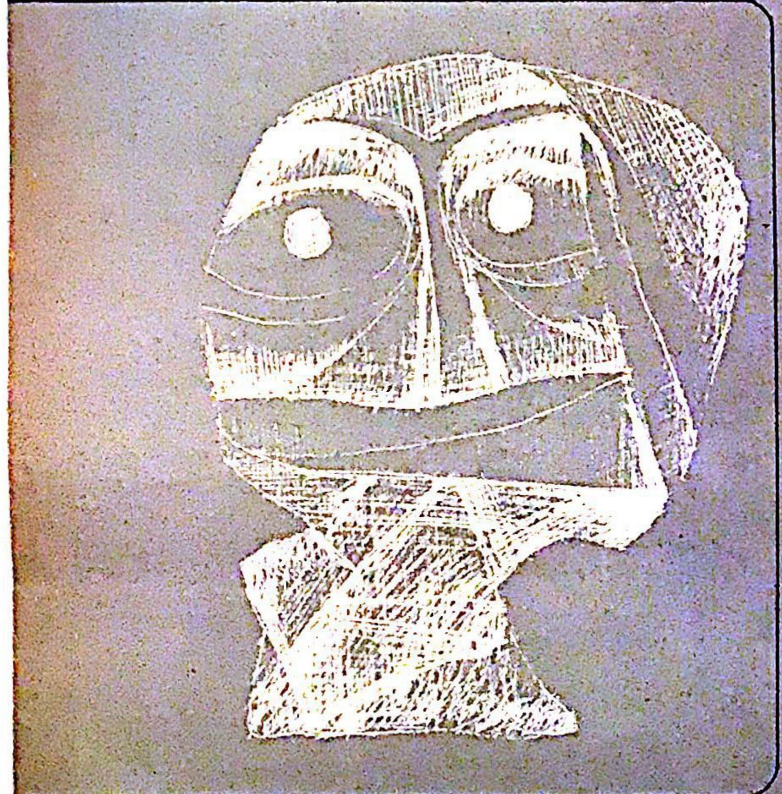

١

يا صديقي الذي ادبلوا في عيونك ..
زهر النبوة
انزعوك الثياب الجميلة يا سيدي ..
البسوك ثيابـا سواها
شربوا من ينابيع حبك دهرا ..
لـم عادوا تقيئوها
اهل الكهف يا سيدي ..
الرجال المدججون بدمع النساء ..
.. واوسمة من حروف وطين
وباسلحة .. صدات .. اه
تحت غبار السنين
اهل الكهف يا سيدي ..
قتلوك .. وباعوك يا سيدي
وانا ضائع بين حبي اليك ..
وبين القيود التي في يدي

٢

لل الطاعون في عروقنا
الموت ، صار خوفنا وحبنا
.. وحزننا
فوق الماتينا المدمى الصوت
صار كل شيء .. صار الموت
يا سيدي .. والكهنة
كانوا .. وما زالوا ..
يصلون لعودة المسيح
وينذرون الورد والشموس ..
لحياة النورس الجريح
الكهنة .. يا سيدي .. الكهنة
قالوا لنا .. ان سيوفنا
ارث شـريعة ..
عفى عليها الزمن القديم
وكتبوا هنا الذنوب في اوراقهم ..
وظلوا .. آه ..
لنا اللعنة من الاهنا الرحيم
الكهنة .. يا سيدي ..
حتى رموز الحب ..
غيروهـا

٣

يا سيدي .. اردت ان احدثك
اردت ان ابكي .. كطفل يتمته العاصفه
بين يديك غير انني خجلت
لو انني اسمعت فيك املي ..
وكبريـائي .. لبكيت
لكنني لقيت نفسي ضائعا ..
كورقة يابسة ..
تبعثها الريح الشمالية .. فوق الارصفة
وجدت نفسي ضائعا ..
في سنوات الجوع .. والتعشق
اكره الحزن .. واستعيد نشوة التعزل

احرق ثم اكتب .. اكتب ثم احرق

٤

يا سيدي ..
اردت ان تسمح لي ..
لو مرة .. ان امنح اللذة بالبكاء
بين يديك الدمع ..
نشوة وكبرياء
بين يديك الدمع ..
رغبة غامضة ..
كالخوف في عيني غريب ..
صار بين ارجل النساء
يا سيدي .. الموت صدقني ..
يريد ان يمنع حتى وجهك الجميل عني
يريد ان يمنع حتى لذة البكاء عني
يريد ان يمحو حتى اسمي الصغير ..
من جدران سجني

٥

يغير البكاء والاسفار .. لوني
ورؤوس صبي ..
تسقط مثل المدن الصغيرة المهجورة البيوت ..
في قبضة الحجاج
.. حتى رغبة الحياة بين اضلعي تموت
لكن حبي لك .. يبقى ذلك حبي
يا سيدي .. الموت جبار
شبح المدينة المقدس
الموت صار الارق الوحيد
لتشبث الغريق ..
والنذر الالهي الـذي
في السر يستحضره العبيد
يا سيدي .. الموت صدقني ..
صار عبد

٦

يا سيدي .. والكهنة
كطائر الرماد .. يحرقون الشمع والبخور
يا سيدي .. تعرفه ما طائر الرماد
يحمل في عنقه الصليب ..
ويرتدي عباءة القديس ..
وفي يديه بلطة الجلاد
يا سيدي .. تعرفه ما طائر الرماد ..
يلد في عيوننا الرماد ..
يحول النـار الى رماد
يمس في الضجة سم الصمت
يا سيدي .. بين جناحيه تدور الموت ..
.. وظلمات الموت

٧

اردت ان امنح لذة البكـاء
لو مرة .. بين يديك ..
قبل ان تمر الخيل وأمساء
فوق جثتي ..
فالجرح فوق جبهتي
يكبر .. والليل يطول ..
والشتاء
يوقظ في عروقي .. لذة البكاء
لو مرة .. بين يديك ابكي
مثل طفل يتمته العاصفه
.. وتركته في محنته السماء
اعطيك كل ما لدي من بكـاء
يا سيدي ..
لو مرة بين يديك ..
ابكـي

العراق ـ ١٩٧١
راء • البكري